الإسلاميون والمستقبل

رؤية في تخطي الحواجز

الباب السابع

ضرورة تغيير الخطاب الإعلامي الإسلامي

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

الفصل الأول

الخطاب الإعلامي الذي نفتقده

نتيجة للصراع العنيف الذي حدث بين ثورة يوليو و«الإخوان المسلمون» ابتداءً من عام ١٩٥٤ وحتى نهاية حكم الرئيس جمال عبد الناصر، أي قرابة عقدين من الزمان، تضرر العمل الإسلامي بكل أشكاله من جراء هذا الصراع والاستهداف، الذي تحول من مجرد استهداف لتنظيم إسلامي إلى استهداف لكل ما هو إسلامي ولكل ما من شأنه أن يصبغ الدولة المصرية وهويتها بالصبغة الإسلامية.

وكان من نتائج ذلك أن اختفى الصحفيون الإسلاميون من الصحافة المصرية، فالصحفيون الإخوان تم سجنهم، والصحفيون ذوو التوجه الإسلامي لم يجدوا الكيان الذي يجمعهم، فاحتفظوا بإسلامهم بين جوانحهم وفي قلوبهم وذابوا في الصحف والمجلات، واستمر هذا الجدب حتى بدأ خروج الإخوان من السجون عام ١٩٧٤ بل وبعد ذلك بسنوات ليست قليلة، في هذه السنوات الطويلة لم يتخذ أي إسلامي الصحافة عملاً له، ولنا أن نتصور أن تمر عشرون سنة دون أن يكون للإسلاميين صحفيون يتحدثون عن الإسلام والهوية الإسلامية والمشروع الإسلامي، وينافحون عن الإسلام ضد أعدائه وخصومه، في الوقت الذي كانت الشيوعية والقومية والفكر اليساري هي التيارات السائدة على المستوى الفكري والسياسي، وصار قطاع غير قليل من الصحفيين المصريين شيوعيين وقطاع آخر قوميين وقطاع ثالث ناصريين .. وكل هؤلاء وضعوا أنفسهم في حالة صدام مع المشروع الإسلامي.

خروج الإخوان من السجون تواكب مع بدء ظهور الصحوة الإسلامية في الشارع المصري وخاصة في الجامعات، وبدأ الإخوان في إصدار مجلة الدعوة التي أدخلوا من خلالها مجموعة قليلة جدًا أعضاء في نقابة الصحفيين .. واستمر دخول الصحفيين الإسلاميين النقابة بمعدلات قليلة بل ونادرة، في الوقت الذي لم تكن هناك أي قيود على أي تيار سياسي أو فكري لدخول النقابة والعمل بمهنة الصحافة.

أتاح هذا كله أن يكون الشيوعيون واليساريون هم المسيطرون على الوسط الصحفي وعلى قيادة نقابة الصحفيين وعلى قيادة مؤسسات الدولة الصحفية وعلى مكاتب الصحف والمجلات العربية في مصر، بل كانوا هم من سافر إلى الخليج وأسس الجرائد والمجلات على الأسس الفكرية اليسارية والعلمانية.

أما الإسلاميون فقد تعطلوا قرابة ربع قرن من الانخراط في العمل الصحفي، ونتيجة لذلك فقد الإسلاميون الكثير وخسروا الكثير وتعطلوا عن امتهان هذه المهنة الخطيرة، تعطلوا في أن يكونوا صحفيين وإعلاميين محترفين واقفين على دقائق وأسرار وتفاصيل المهنة، من حيث المهنية في كتابة أشكال العمل الصحفي المختلفة، والمهنية في إدارة الأعمال الصحفية والمؤسسات الصحفية ..... ولذلك فحينما دخلوا سوق الصحافة شعروا بهذا كله فكانت مشكلة فاقمها أن كثيرًا من الإسلاميين امتهن الصحافة دون دراسة أو تدريب ... وكانت النتيجة أن جاءت الأعمال الصحفية الإسلامية لا تحظى بالمعايير المطلوبة أكاديميًا ومهنيًا، وكان لهذا انعكاساته السلبية على العمل الصحفي والإعلامي الإسلامي.

وإذا كانت الحركة الإسلامية جادة في الارتقاء بخطابها الإعلامي الإسلامي فعليها توجيه أبنائها إلى الالتحاق بكليات الإعلام وكذلك الالتحاق بالمؤسسات

الصحفية القومية والحزبية والمستقلة للتدريب بشكل جيد حتى يمكنهم هضم المهنة والوقوف على أسرارها واكتساب مهارات الكتابة والإدارة والفكر وتكوين شبكات العلاقات الجيدة على مستوى المجتمع المصري كله بمختلف توجهاته.

وإذا كنا، كمتخصصين في الإعلام وفي الثقافة الإسلامية وكذلك كمتلقين للرسالة الإعلامية، غير راضين عما يقدم لنا في وسائل الإعلام، فإن علينا أن نحدد أسس ومعايير الارتقاء بالخطاب الإعلامي الإسلامي الذي ينطلق من ديننا الحنيف، ونحن على يقين بأن الدين يقوم بدور حيوي في استقامة المجتمع .. وكان الإمام محمد عبده يقول: «أي إصلاح للشعب المصري لن ينجح إلا من خلال الدين».

وإذا كانت «هبة» الحديث عن التجديد في الخطاب الديني مستمرة، وإذا كان كثيرًا مما يكتب موجه وصاحب مصلحة وليس لوجه الله بل مرتبط بأجندات دولية ومحلية، فإننا نريد من الإعلاميين الإسلاميين والأكاديميين المخلصين تأصيل الإعلام الإسلامي حتى يمكن الارتقاء به ليكون له خطاب ديني شامل، فالخطاب الإسلامي الذي نريده خطاب سياسي وديني وفكري مثقف ومنفتح ومتحاور وفوق ذلك مهني يحترم المهنة ويضبط أداءه على أساسها.

إننا إذا سألنا المسئولين في وسائل الإعلام، خاصة التليفزيون، عن البرامج الدينية، يقولون إن الخريطة الإعلامية مليئة بساعات كثيرة عن الدين، بل يحاولون إقناعنا أن هذه الساعات أكثر من ساعات برامج المنوعات. وقد يكون هذا صحيحًا ولكن فيه مغالطة .. لأن الأهمية ليست في كثرة الساعات وإنما هي في النوعية وكيفية الإخراج وتوقيت الإذاعة وفي المادة المقدمة ومواصفات من يقدمها وفي التوجه العام المخطاب، فخمس دقائق في ساعة الذروة أفضل من ساعة في

التوقيتات الميتة، وعشر دقائق بمنهجية واحترام للشريعة وبعمق ومسئولية أفضل من ساعات من التشويش والتخبط .. وهكذا.

إن الخطاب الديني في وسائل الإعلام الرسمية يعاني من أمراض كثيرة فما زالت الوجوه هي الوجوه والبرامج هي البرامج والمخرجون هم المخرجون، بل مازال الكلام هو نفس الكلام الذي نسمعه منذ ثلاثين سنة. وإذا كنا نحن ـ الإسلاميين ـ نرفض ذلك فإن علينا أن نقدم البديل فيما يتاح لنا من صحف ومجلات وفضائيات، وأن نثبت لجمهور المتلقين أننا الأفضل والأكثر صدقًا والأعمق ثقافة والأكثر وطنية وحفاظًا على مصالح أمتنا وأوطاننا وعلى هويتنا.

وفي الصحف مازالت نفس الأسماء تكتب منذ سنوات طويلة جدًا ولم تطور نفسها حتى أصبحت تكتب في واد والناس في واد آخر. ولكن لكي نكون منصفين فإن تجربة الإخوان في الجرائد والمجلات التي أشرفوا عليها بعض الوقت مثل مجلة لواء الإسلام، وصحيفة الأسرة العربية، وصحيفة آفاق عربية، كان بها الكثير من العيوب التي نأخذها على غيرنا، فالمهنية مفتقدة إلى حد كبير رغم أن الإخوان هم أفضل فصيل إسلامي يمتلك خبرات صحفية وإعلامية، وفي كثير من الأحيان تكون المجلة أو الصحيفة كالنشرة الداخلية ويغيب عنها الحس الوطني العام، وربما الانغماس فيما يخص الشأن الخاص والتنظير لفكر الجماعة.

لكن الصحوة الإسلامية الآن تكسب أرصية جديدة ومهارات جديدة، وكانت الصحافة الإليكترونية فتحًا من الله وتعويضًا للإسلاميين عما فقدوه من جراء تهميشهم وإبعادهم عن الإعلام ومنعهم من الحصول على رخص الصحف والمجلات الورقية، ولذلك جاء الإنترنت للإسلاميين كالماء على أرض عطشى جرداء فأنبتت وأزهرت، وأبلى الإسلاميون في الصحافة الإليكترونية بلاءً حسنًا

وكانوا أفضل من استغلها لحاجتهم الشديدة لها، فاليساريون والعلمانيون ليس لديهم مشكلة لأن أجهزة الإعلام والثقافة الرسمية في أيديهم، سلمتها لهم الدولة عامدة، نكاية في الإسلاميين ومواجهة لمشروعهم الفكري والسياسي.

ظهر العديد من المواقع الإسلامية التي تقدم الخدمة الإخبارية والمتابعة الصحفية الجيدة من خلال الخبر والمقال والتحليل والدراسة بل والصورة الصحفية، وتلقاها الناس بالقبول، وأخذت هذه المواقع تطور نفسها باستمرار، كما كان لها دور في احتضان العشرات من الصحفيين الإسلاميين الشبان وإعدادهم وتوفير فرص العمل لهم. ومن هذه المواقع: إسلام أونلاين – الإسلام اليوم – المسلم – لواء الشريعة – المصريون .... إلخ.

الصحافة الإليكترونية التي قدمها الإسلاميون كان فيها الكثير من التميز من خلال الاهتمام بالشأن الإسلامي وتأصيل الجوانب الشرعية في مختلف القضايا، والتفاعل مع هموم الأقليات المسلمة، ومواجهة المشروع الصهيوني، والاشتباك الواسع مع المشروع الاستعماري الغربي الصليبي، والاشتباك مع المشروع العلماني بجوانبه المختلفة، وتفنيد شبهات أعداء الإسلام .. إلخ. لكن كانت هناك سلبيات كثيرة أيضًا، فالخبر في بعض هذه المواقع يتم توجيهه بصورة تنافي الجوانب المهنية والأكاديمية، والانغلاق الفكري موجود في البعض الآخر، والسطحية وافتقاد العمق الثقافي حاضرة في البعض الثالث، والمعالجة غير المنطقية لقضايا المرأة موجودة أيضًا ... إلخ.

وإذا كان الكثيرون منا يعيبون على الحديث الديني في الإذاعة والتليفزيون وعدم إدراك المتحدثين ومقدمي البرامج للتطور الذي حدث للميكروفون والشاشة .. فإن تجربة القنوات الفضائية السلفية مثل الناس والرحمة والحكمة كانت غير

مشجعة، فالإخراج سيئ والديكورات أسوأ والمهنية مفتقدة عند فرق الإعداد، والمنهج الإعلامي المتكامل غير موجود، كما أن أكثر البرامج تعتمد على الخطبة والوعظ المباشر .. ورغم أن هذه القنوات تجتذب كثيرًا من الناس إلا أن التقييم المهني والفني لها ليس جيدًا، والناس يقبلون عليها هربًا من الفضائيات العلمانية التي تهاجم الدين ولا تحترمه، وهربًا أيضًا من فضائيات العري والابتذال، وقبل ذلك وبعده هربًا من قنوات التليفزيون المصري الرسمية التي قهرت المصريين وكرّهتهم في كل شيء.

الإعلام المصري الرسمي لا يجيد تقديم التمثيلية والمسلسل الديني، فمعظمها كئيب وغير مقنع، واللغة العربية فيها على ألسنة الممثلين كاللغة اللاتينية، بالإضافة إلى أنها مسلسلات باهتة وضعيفة وفقيرة، ولذلك فإن على القنوات الإسلامية خاصة «اقرأ» و«الرسالة» أن تحل هذه المعضلة وأن تقدم المسلسل المحترم الذي لا يقتصر على الشأن الديني فقط بل يقدم الشأن الاجتماعي والسياسي وغيرهما بأسلوب ممتع وجذاب ومنضبط أخلاقيًا.

الخطاب الديني في وسائل الإعلام عمومًا يغلب عليه غياب التصور الكلي للإسلام .. فهو يذكر شيئًا عن الصوم ونتفًا عن الحج وقليلاً عن الحيض – إلخ، أي أنه يقدم الإسلام مفتتًا ومفككًا ويحكم ذلك كله نظرة شخصية ومصالح ذاتية .. كما يقدم الإسلام حسب المواسم فقط .. كل موسم بما يقابله في الشرع. كما يغلب الحديث عن الشعائر والأشكال ولا ينفذ إلى الجوهر. كما يتم تصوير التاريخ الديني للمسلمين بمعزل عن حياتهم المعاصرة .. فالحاصل في الخطاب الديني الآن هو أن الماضي كله كان خيرًا وكان الناس فيه ملائكة أما الحاضر فكله شر والناس فيه شياطين .. إذا كان هذا حادث فعلى الخطاب الإسلامي لتيارات الصحوة الإسلامية

معالجة هذا القصور وهذا الخطأ. وإذا كان الخطاب الديني الرسمي يفتقد عنصرين هامين وهما دفع الناس للعمل ودفع الناس للتفكير العقلي، فعلى خطاب الصحوة الإسلامية علاج هذا القصور.

وهكذا، أصبح الخطاب الديني غائبًا عن عملية التنمية التي تحدث في بلادنا ولا يشارك فيها، فهناك غياب لحكم الدين في الاستثمار وفي تفاصيل خطط التنمية والتغيرات الاقتصادية المحلية والعالمية، والخطاب الإعلامي بوضعه الحالي يحصر الإسلام في أمور ضيقة ويعتمد على تلقين المتلقي للرسالة، ولا يجهد نفسه في تكوين عقلية المتلقي حتى يستطيع أن يفكر ويبحث وحده، وفي هذا السياق فإنه على الخطاب الإسلامي أن يعيد صياغة هذه المعادلات المختلة ويضبطها في سياقها الصحيح.

الإعلام في العالم الثالث ليس منفصلاً عن السياسة، ونحن لا نستطيع أن نتحدث عن الإعلام وحده كأنه يتحرك بحرية بعيدًا عن الخطاب العام، لأننا حينما نتحدث عن الخطاب الديني في الإعلام فنحن نتحدث عن موقف السياسة من الخطاب الديني .. وحينما نتحدث عن الخطاب الديني فإننا نتمنى أن نراه خطابًا يعبر عن ضمير الأمة. وبالتالي فعندما نتحدث عن أزمة الخطاب الديني فنستطيع أن نقول إننا نتحدث عن أزمة التعبير عن ضمير الأمة.

صلة الإعلام بالسياسة في العالم الثالث قوية وهي صلة مشروعة شرط أن تكون صلة حوار لا صلة تبعية، لأن الإعلام الذي يقوم على الحوار يؤدي رسالته، أما الإعلام الذي يقوم على التبعية فهو إعلان وليس إعلامًا. وهنا تتحول وسائل الإعلام، ليس إلى ساحات حوار، وإنما إلى أبواق تخاطب الناس من فوق. إن الخطاب الديني ليس المقصود به تقديم تاريخ المسلمين وشرح الأحاديث وتلاوة

القرآن وبرامج الفتاوى .. هذا جزء من الخطاب الديني .. أما الخطاب الديني في صورته الشاملة فهو الذي يلتزم بمقاصد الدين وقيمه. فيمكن أن تكون هناك دراما ليس فيها آية واحدة لكنها تلتزم بروح الإسلام وقيمه، وتكون أفضل من الخطاب الديني الصريح. والعبرة في البرامج الدينية في الإذاعة والتليفزيون ليست في تعدد الساعات ولكن في ماذا تقول هذه البرامج.

الخطاب الديني في صورته الشاملة هو الخطاب الإسلامي الذي نريده ونسعى إليه، والذي يترجم روح الإسلام ومقاصده في كل شئون حياتنا، فالعبرة عندنا بالجوهر والمضمون وليس بالشكل، ففي مصر مثلاً تعددية سياسية وأحزاب كثيرة .. ولكن العبرة ليست بكثرة العدد بل بمدى مشاركتها في صناعة القرار السياسي.

وإذا كان المسئولون عن الإعلام لدينا يتحدثون عن الكثرة الكاثرة لساعات البث الديني، فإن أكثرها يستخدم لنقض الخطاب الديني، فمن الصعب أن نجد في أي عمل درامي أبًا يوقظ ابنه في الصباح ويقول له قم صل الصبح .. بينما نجد أن الملتحي دائمًا يكون رجلاً غير سوي، إما أفاق أو نصاب أو لص أو إرهابي، أي أن فنون التوصيل تستخدم في الاتجاه المعاكس وليس في توصيل الخطاب الديني .. ومن هنا نستطيع أن نقول إن الخطاب الديني لا يقدم في مفهومه الصحيح.

إن أزمة الخطاب الديني هي تعبير عن أزمة الدين في المجتمع .. تلك الأزمة التي أوجدتها الدولة بخياراتها العلمانية التي تصطدم بالشريعة، تحت شعار مواجهة المتطرفين الإسلاميين وتجفيف المنابع الإعلامية عليهم، ولكن الدولة نسيت في النهاية أنها اصطدمت بالدين وشجعت الخروج عليه وأوجدت هذا التناقض في المجتمع.

والدولة استبعدت الدين من أن يكون حجر زاوية لبناء مشروعنا السياسي

والحضاري، وتريده فقط أن يكون مجموعة أذكار وتعاويذ!

إن الإسلام لم يأت فقط لترطيب جوانح الناس ولكنه جاء ليبني أمة وينهضها .. وحينما تغيب فكرة المشروع الحضاري والرؤية الكلية للإسلام نجد أن الخطاب الذي يقدم عن الإسلام فتات وصفحات في رمضان وغيره .. وحتى رمضان حوله إعلامنا من شهر للعبادة إلى شهر للفوازير والمحرمات .. فالحديث الديني قبل الإفطار مدته دقيقتان أما الفوازير فساعات طويلة.

إننا نتساءل عن العقلية التي فعلت ذلك بوسائل الإعلام .. فالقضية ليست قضية إعلام وإنما هي رؤية استراتيجية تعبر عن نفسها في كل موقع .. فالأزمة في حقيقتها ليست أزمة في الخطاب الديني ولكنها أزمة حضارية وأزمة تعبير عن ضمير الأمة.

إن البعض يتحدث عن تدخل الدين في السياسية، لكننا نزعم أن المشكلة الحقيقية هي تدخل السياسة في الدين والتي تفرض عليه كل مساراته .. وعلى هذا فالقضية تتجاوز كل الجوانب الفنية في وسائل الإعلام والعنصر البشري في وسائل الإعلام إلى جوهر القضية وهو موقع الدين من المشروع السياسي.

معظم الأبحاث التي أجريت تؤكد أن وسائل الاتصال المباشر هي الأكثر تأثيرًا في تغيير الاتجاهات والأفكار.. أما وسائل الإعلام الجماهيرية فهي تقدم المعارف فقط .. هذا من ناحية.. ومن ناحية أخرى فلا يوجد خطاب ديني إسلامي واحد في مصر وإنما هناك عدة خطابات دينية .. كما أن هناك فرقًا كبيرًا بين مفهوم الرسالة في علوم الإعلام ومفهوم الخطاب الذي هو مصطلح حديث. فنحن في علوم الإعلام نقول إن الاتصال عبارة عن خمسة عناصر هي: القائم بالاتصال والرسالة والوسيلة والجمهور ورجع الصدى. أما مفهوم الخطاب فيشمل كافة أعمال الاتصال، أي أن

الخطاب لابد أن يستوعب داخله كل المتغيرات السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية – الخ. وبالنسبة لمستويات الخطاب الديني في مصر مثلاً فهي عبارة عن الخطاب الديني الرسمي والخطاب الديني لفصائل الصحوة الإسلامية والخطاب الديني الصوفي.

وبالنسبة للخطاب الديني الرسمي فإنه يستخدم في تبرير سياسات الحكومة، ونتيجة لذلك يفقد مصداقيته وتأثيره على الجمهور، فهذا الخطاب تأثر بفهم قيادات ثورة يوليو لوسائل الاتصال .. فثورة يوليو جاءت نتيجة انقلاب من الجيش وسيطرت على السلطة وكانت تشعر دومًا بعدم وجود صلات بينها وبين الجماهير واستعاضت عن ذلك بوسائل الاتصال الجماهيرية.

واعتماد هذه القيادات على الاتصال الجماهيري أفقدها التأثير وأصبح إعلامها في جانب آخر.

وبالنسبة للخطاب الديني لتيارات الصحوة فإنه يتسم بأنه يستخدم وسائل الاتصال المباشر، لأن وسائل الاتصال الجماهيري بعيدة عن متناوله، ومن هنا كانت قدرته على التأثير أكبر وكانت لديه قدرة على تغيير الأفكار وبناء الأيديولوجيات. ونتيجة لظروفه فقد كانت درجة انفتاحه على الاتجاهات الأخرى والحوار معها محدودة، وظل محافظًا على عناصر توجهه .. لأن الحوار دائمًا يجعل الأفكار أكثر موضوعية لأنه يستفيد من الغير ويكتشف نقاط ضعفه ونقاط قوة غيره.

إلا إن مشكلة الخطاب الإعلامي للصحوة أنه منقسم على نفسه، فهناك الخطاب السلفي العلمي الذي يعتمد المنهج السلفي في الاستدلال ومناقشة القضايا .. وهو خطاب له أطره ومفاهيمه وحدوده، كما تعرضه الفضائيات السلفية. وهناك الخطاب السلفي الجهادي كما تعرضه بعض مواقع الإنترنت .. وهو خطاب

يصطدم مع كثير من الأسس الفكرية لقطاعات كبيرة من الإسلاميين، وهو خطاب انفعالي غير متسامح، يشتبك مع الجميع في كل الاتجاهات. وهناك الخطاب الإخواني التقليدي المعروف الذي تمثله الكثير من الإصدارات الإعلامية ومواقع الإنترنت وحتى القنوات الفضائية. وهناك الخطاب الإسلامي المستقل والذي يتمتع بانفتاح ومرونة كبيرة .. ويمثله د. محمد عمارة والأستاذ فهمي هويدي ود. القرضاوي ود. محمد سليم العوا والمستشار طارق البشري .. ومن سار على منهجهم ودربهم .. وهو خطاب يحرص على أن تكون له صلات مع فصائل المجتمع المختلفة، وهو بذلك يكسب شرعية وتتاح له في كثير من الحالات إمكانية التعامل مع وسائل الإعلام الجماهيرية .. وهذا التيار مقبول من الجميع، وهو أكثر الخطابات انفتاحًا على غيره من الأفكار، وحوارًا معها، بل إنه يتحاور حتى مع أنواع الخطابات غير الدينية مثل الخطاب القومي العربي والخطاب الماركسي والعلماني –الخ.

أما الخطاب الصوفي فإنه ينتشر بين فئات كثيرة من الجماهير معظمها من الجماهير الفقيرة والأمية وقليلة الثقافة .. ومن سماته أنه يغلب عليه السمة الوجدانية ولا يتصادم مع السلطة ويكسب كثيرًا من ذلك، ولديه حرية في العمل والحركة .. لكن أزمته الكبرى في مضمون خطابه الاستسلامي الانهزامي التبريري، وفي تخريبه للمفاهيم والمنطلقات الشرعية والعقدية الصحيحة.

◆◆◆

الفصل الثاني

في الأسس المهنية لإعلام إسلامي

السياق التاريخي لنشأة العمل الإعلامي الإسلامي يؤكد الصعوبات التي واجهت هذه النشأة، بعد القمع الذي تعرضت له الحركة الإسلامية من ثورة يوليو لمدة تزيد عن العشرين عامًا، وأثر ذلك في عدم رفد الحركة الإسلامية بكوادر صحفية وإعلامية، يكتسبون الخبرة والمهارة بالعمل والممارسة والخبرة والتجربة، في الوقت الذي تمتع فيه خصوم الحركة الإسلامية بالحرية الكاملة في العمل الإعلامي، بل إنهم ذابوا في أجهزة الإعلام الرسمية وتولوا أعلى المناصب فيها.

وإذا كانت الصحوة الإسلامية قد بدأت تستعيد توازنها إعلاميًا، فقد صار واجبًا عليها أن تعيد التخطيط لخطابها الإعلامي لكي تؤسسه على أسس مهنية منضبطة، تضمن له المنافسة بل والتفوق، واجتذاب القارئ والمشاهد والمستمع المصري والعربي وإقناعه بالفكرة الإسلامية والرؤية الإسلامية .. وهذه محاولة نقدمها للحركة الإسلامية في هذا الشأن.

في وظيفة الإعلام:

حدد مؤسسو علوم الاتصال الجماهيري الأوائل ثلاثة وظائف أساسية للإعلام يمكن الحكم عليه من خلالها وتحديد إن كان إعلامًا هادفًا وجادًا وفعالاً أم إعلامًا هابطًا وفاسدًا وفاشلاً، وهذه الوظائف هي: مراقبة البيئة المحيطة، والعمل على ترابط أجزاء المجتمع ووحدته في مواجهة البيئة، والاهتمام بنقل التراث الثقافي عبر الأجيال المختلفة. ثم أضيفت وظائف متعددة بعد ذلك مثل التسلية أو الترفيه،

والدعم والمساندة والتعليم، والإعلان والترويج للسلع والخدمات التجارية .. إلخ، وهي وظائف يمكن من خلالها أيضًا محاكمة الوسيلة الإعلامية على أساسها.

بين الإعلام الهادف والفاسد:

وبالنسبة للوظيفة الأولى من الوظائف السابقة وهي مراقبة البيئة المحيطة، أو وظيفة الاستطلاع، فإن وسائل الإعلام بما تملكه من شبكات واسعة من المراسلين في جميع أنحاء العالم تراقب ما يجري في مختلف المجالات وتجعله متاحًا للقارئ أو المستمع أو المشاهد. وعملية الاستطلاع، ومراقبة البيئة هذه، التي تختص بإمداد القراء والمشاهدين والمستمعين بالأخبار والمعلومات، يشترط أن تكون إخبارية صرفة، لا يجوز التحريف فيها أو التغيير أو الانتقاء أو الحجب والتعتيم وإنما يشترط التدفق الكامل للأخبار.

وهذه الوظيفة يمكن من خلالها التفرقة بين الإعلام الهادف وهو الإعلام الإسلامي الذي نريده وبين الإعلام الفاسد والهابط، فالإعلام الهادف يقدم الأخبار لجمهوره كما هي وفق المعايير المهنية من حيث عدم التدخل في الخبر وعدم تلوينه وعدم التركيز على نوعية معينة من الأخبار وإهمال نوعية أخرى، احترامًا منه للقارئ وعقليته وقدرته على الفهم والربط والاستنباط، مع احتفاظ الوسيلة الإعلامية بحق التعليق على الأخبار في مكان مستقل ومنفصل عن الأخبار. أمَّا الإعلام الموجه وغير الأمين فإنه يفرض وصاية على جمهوره ويحرمه من حقه في تدفق المعلومات كما هي ومتابعتها من مظانها، فينقل ما يراه هو من الأخبار بعد معالجتها والتدخل فيها وتلوينها وبعد حجب نوعية معينة لا ترضيه وتخالف توجهاته السياسية والفكرية والعقائدية. فالأخبار التي ينقلها الإعلام الهادف هي كل أنواع الأخبار التي تعكس الواقع الفعلي والحقيقي لما يحدث في البيئة المحيطة

سواء كانت هذه البيئة هي الدولة التي تنطلق منها الوسيلة الإعلامية أو غيرها، فيتم نقل الأخبار الحقيقية لما يجري في الكوانيس السياسية والثقافية والفكرية من مشكلات وأزمات مما يعني إحاطة المتلقي بالحقيقة دون تزييف أو خداع أو كذب أو تضليل، أما الإعلام غير الأمين فإنه يفرض وصايته على جمهوره ويعتقد أن الجمهور جاهل وغير ذكي، فيحجب المعلومات الهامة والأساسية والحقيقية ويسمح فقط بالمعلومات المتداولة التي لا تضيف جديدًا، وهذه هي الصورة التي ظهر بها الإعلام العربي الرسمي العلماني طويلاً، حيث عمل على دعم الأنظمة السياسية العربية الاستبدادية بكل وسائل الكذب والخداع والتضليل والتلفيق للخصوم وعدم الأمانة في العرض .. إلخ. وكانت نتيجتها أنها وفرت للمتلقي العربي رؤية مشوهة وتصورًا مزيفًا ومنحازًا عن البيئة المحيطة سواء كانت عالمية أو إقليمية أو محلية.

وإذا كانت الصورة تكتمل بالتعليق على الأخبار، فإن الإعلام الهادف المهني يستعين بخبراء وأكفاء للإحاطة بالحقيقة من جوانبها المختلفة، أما الإعلام الموجه وغير الأمين والفاسد فإنه يستعين بغير الأكفاء وبالمرضى الفكريين وبالذين ترضى عنهم السلطة السياسية التي تمتلك هذه الوسيلة الإعلامية، وتكون النتيجة جهلاً على جهل وتعتيمًا على تعتيم، بل طبلاً وزمرًا ومهازل أخلاقية ومهنية.

الأكاديميون يشترطون في الوظيفة الإخبارية توافر ثلاثة عناصر هي: التكامل والموضوعية والوضوح. فالتكامل يعني تتبع الخبر من نشأته حتى نهايته، والبحث عن العناصر المكملة له، سواء عن طريق المصادر الأصلية أو أقسام المعلومات، من أجل سد الطريق أمام محاولات اجتزائه وتقطيعه. أما الموضوعية فهي أقرب إلى مفهوم الحياد وعدم الانحياز إلا للمعايير المهنية. ويقصد بالوضوح، وضوح

العرض، الذي يؤدي إلى فهم المحتوى، من جانب المختصين، وعامة الشعب على السواء، مع تجنب خطر التبسيط، الذي قد يؤدي إلى التحريف.

وإذا كانت الموضوعية والحيدة شرط صعب التحقيق، فإن الصدق والالتزام بالمهنية والمعايير الأخلاقية واحترام حق الجمهور المتلقي، يمكن أن تفسر المعنى. فالصدق مع الجمهور يعني عدم خداعه وعدم تضليله وعدم الكذب عليه، وبالتالي تقديم الخدمة الإعلامية له متكاملة. والالتزام بالمعايير المهنية يعني استقصاء الخبر ومتابعة أبعاده المختلفة وتطوراته وعدم تلوينه وعدم اللعب في محتواه وعدم حجب أية أجزاء منه أو إضافة أجزاء ليست منه أو عدم الفصل بين الرأي والخبر، أو ابتزاز الناس بنشر أخبار غير دقيقة عنهم من أجل التأثير عليهم والحصول منهم على أموال أو منافع أو إعلانات .. إلخ.

ولا يمكن أن نفصل بين المهنية والمعايير الأخلاقية لأن المهنية تتضمن الالتزام بالأخلاق لكننا نفصل المعايير الأخلاقية لكي نؤكد عليها خاصة إذا كنا نتحدث عن إعلام إسلامي. واحترام حق الجمهور المتلقي معناه أن أضع في اعتباري أن القارئ أذكى مني ويفهم ما بين السطور وأن من حقه أن أقدم له كل أبعاد القضية وأن أجعله يربط بينها بنفسه لا أن أفرض نفسي وصيًا عليه، كما يفعل الإعلام العربي الرسمي مع جماهيره منذ عقود طويلة.

أما الوظيفة الثانية للإعلام وهي العمل على ترابط أجزاء المجتمع ووحدته في مواجهة البيئة، فإنها وظيفة شديدة الأهمية متى تم اتباع الشروط والمحددات السابقة. فإذا كان الإعلام هادفًا ومارس دوره ومسئوليته المهنية والأخلاقية بصدق وحياد وأمانة ومهنية واحترافية، فإنه يحدث وئامًا، وتقاربًا فكريًا واجتماعيًا، من خلال ما يقدمه من ثقافة، ومعلومات، وأخبار على جميع المستويات الاجتماعية

والسياسية والاقتصادية. أما إذا كان الإعلام فاسدًا وهابطًا ومعبرًا عن رأي نظام سياسي مستبد ومجموعة المحسوبين عليه المستفيدين من فساده المدافعين عنه بالحق والباطل، فإن ترابط المجتمع لن يتحقق، وإنما سيسخر هذا الإعلام مثلاً إمكاناته لخدمة رجال الأعمال واللصوص الذين يسرقون ثروة الأمة ولتدعيم المقولات الفكرية والثقافية للعلمانيين والملحدين والتغريبيين وعملاء الغرب وللوقوف ضد هوية الأمة والمدافعين عنها وتشويه الإسلاميين والنفخ في القضايا الطائفية، وهنا تتفكك الأمة وتفتقد المشروع الحضاري القومي الذي يعمل على تماسكها، وتفقد بوصلتها وتصبح أمة تهلك نفسها بنفسها.

ثم نأتي للوظيفة الثالثة للإعلام وهي الاهتمام بنقل التراث الثقافي عبر الأجيال المختلفة، لنشاهد الإعلام الفاسد يدير ظهره للتراث الثقافي الحقيقي للأمة، بل يعتبره تطرفًا وتهديدًا للوحدة الوطنية ونشرًا لثقافة الإرهاب ودعمًا لـ «الإرهابيين»، وفي نفس الوقت يعتبر شعر الملحدين المارقين الذين يجب أن يقوّموا ويؤدبوا ويحاسبوا، إبداعًا، ويعتبر قصص وروايات من يسبوا الله ورسوله، إنجازات ثقافية، ويعتبر انهزام وخيانة السياسيين وطنية وبطولة. أما الإعلام الهادف فإنه ينقل تراث الأمة الصافي، فكريًا وثقافيًا ودينيًا، ويعرّف الناس بأئمتهم وأعمالهم وإنجازات أكابرهم وقادتهم الحقيقيين لا الوهميين.

ووظيفة التسلية والترفيه أصبحت مهمة وأساسية، وهي تظهر الفارق بوضوح بين نوعي الإعلام، فالإعلام الفاسد والهابط يهبط بهذه الوظيفة إلى هوة سحيقة من الفن المبتذل يريد به أن يقتل وقت الناس قتلاً، بدلاً من أن يقدم لهم متعة منضبطة تساعدهم على مواصلة حياتهم بكفاءة. حتى عندما يقدم الرياضة فإنه يقدمها في إطار البطولة والتشجيع المتعصب الذي يؤدي إلى تفتيت الناس إلى جماعات يكره

بعضها بعضًا. أما الإعلام الهادف والمسئول فإنه يركز على ممارسة الرياضة وعلى الرياضات الفردية التي تفيد الإنسان الذي يكون ممارسًا للرياضة وليس متفرجًا عليها، انطلاقًا من قول عمر بن الخطاب ﷺ: «علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل». وفي الترفيه يحافظ هذا الإعلام المسئول على مشاعر الناس فلا يؤذيها، فيقدم المتعة الراقية والفن الرفيع الذي يحترم عقائد الناس وهويتهم وأخلاقهم.

الخطاب الثقافي يحدد نوع الإعلام:

هناك نوعان من الثقافة:

أولاً: الثقافة السياسية أو التي تهتم بأمور الناس وقضاياهم المصيرية، وبالذات فيما يرتبط بالحريات السياسية، كحرية الرأي والتصويت والتظاهر وتكوين الأحزاب والجمعيات وحرية إصدار الصحف وإنشاء القنوات التليفزيونية .. إلخ، أو كحرية ممارسة الشعائر والأنشطة الدينية والثقافية.. وتندرج الثقافة وفق هذا المفهوم إلى قسمين:

أ - ثقافة تدفع الناس نحو التحرك والانطلاق والسعي الجاد للتغيير والإصلاح والتطور للأفضل.

ب - ثقافة تشد الناس نحو الأرض وتكرس فيهم روح التبعية والخوف والتراجع والخلود إلى الدعة والراحة.

ثانيًا: الثقافة الاجتماعية، التي تتلخص في الأعراف والتقاليد التي يبني عليها المجتمع حياته بما يضمن سعادته ورفاهيته في ظل قوانين يتمسك بها الجميع دون وصاية من أحد، وهناك أيضًا نوعان من الثقافة الاجتماعية:

أ - ثقافة تدعو وتحث باتجاه تحكيم القيم والمثل النبيلة كالتعاون والترابط والألفة

واحترام الدين والعقيدة والانحياز للأخلاق والعدل.

ب - ثقافة تشد الناس نحو السلبية والتفكك والانعزال وزرع روح الهزيمة في النفوس.

ووفق هذا التقسيم نستطيع أن نفرق بين نوعين من الإعلام: نوع صادق وجاد وهادف (ومنه الإعلام الإسلامي الذي نسعى إليه)، وهو إعلام ينطلق من نقل الحقائق والثقافة الجادة للجمهور ودفع هذا الجمهور للحركة الإيجابية الصحيحة بعد إمداده بالمعلومات الحقيقية وغير المزيفة، وبعد إمداده بآراء وخبرات خبراء أكفاء وصادقين. والنوع الثاني من الإعلام هو الذي يفعل عكس ذلك، حيث ينشر الخوف وعدم الثقة واليأس والهزيمة في نفوس الناس، فالنظام السياسي الفاسد يصبح ناجحًا يجب دعمه، وأمريكا وإسرائيل تصبحان صديقتين، والقضايا العربية والمسئولية الإسلامية تصبحان قيدًا على حركة مصر يجب كسره.

الفساد الإعلامي والإفساد السياسي للإعلام:

نستطيع أن نحدد نوعين أساسيين من الفساد الإعلامي:

النوع الأول: هو الإعلام المُفسد والهابط، وهو إعلام تجاري يسعى للربح عبر استغلال الأمراض الاجتماعية الكثيرة في مجتمعاتنا العربية، فيعمل على تكريسها وترويج قيم أخلاقية وثقافية منحطة، تهبط بالذوق العام، وترسخ ثقافة الفساد والاستهلاك، واللامبالاة والشعور بالعجز، وينشر الأعمال الفنية الهابطة والرقص والإباحية.

وأمثلة هذا النوع من الإعلام: الصحافة الفنية والاجتماعية الصفراء، وقنوات الأغاني الهابطة، والقنوات التي تسمح بمرور عبارات حوار نابية ومخلة بالآداب العامة على مدار الساعة، ناهيك عن المستوى الفني الرديء للأغاني المصورة من

حيث الصورة والكلمة واللحن، هذا إذا لم نتكلم عن تجارة الرقيق التي تقف خلف هذه القنوات.

كما يندرج كثير من برامج المسابقات في إطار الإعلام المُفسد، من حيث تأكيده على الحظ و الربح السريع، في عملية استغلال مفضوحة للجمهور من خلال العقود المبرمة بين القنوات الإعلامية وشركات الاتصال، التي تضاعف أجور مكالمات المشاركين في تلك المسابقات، ناهيك عن سطحية المعلومات التي تروجها تلك البرامج.

أما النوع الثاني: فهو الإعلام الفاسد، الذي يتمثل في مؤسسات إعلامية تسيطر عليها وتوجهها الأنظمة الشمولية الاستبدادية التي تستغل الإعلام لتلميع رموزها وقادتها وسياساتها، ولكي تمارس التعمية والتعتيم على تجاوزاتها الأخلاقية والإنسانية وإخفاقاتها وجرائمها السياسية وفسادها كأنظمة حاكمة، حيث يوظف الإعلام قدراته للتضليل وترويج منجزات وهمية للأنظمة، فيما يهمل المواطن والوطن والمصلحة العامة. وهذا الفساد يأتي كجزء لا يتجزأ من الفساد العام، حيث ترتبط المؤسسات الإعلامية برموز الفساد الكبير، وتتعيش على أموالهم، بحجة التمويل الذي لا بد منه لاستمرار المؤسسات على قيد الحياة، في حالة الإعلام المستقل. أما بالنسبة للإعلام الحكومي «الرسمي»، فإن فساد المؤسسات الإعلامية جزء من فساد مؤسسات الدولة عمومًا، حيث تدار هذه المؤسسات الإعلامية الرسمية لتبييض صفحة الحكومة والمسئولين، وتتحول إلى بقرة حلوب لصالح الفاسدين الكبار والصغار معًا.

ملكية الدولة لوسائل الإعلام كصورة للفساد:

خلال العقود الأخيرة، ومنذ قيام ثورة ١٩٥٢م، أصبح الإعلام المصري في خدمة النظام السياسي وأهل الحكم، وليس في خدمة «الحقيقة» وطبقات الشعب

المختلفة والمواطن المصري العادي. وإعلام في خدمة دولة مستبدة ونظام سياسي مغلق ومحتكر للسلطة، يعني أن هذا الإعلام في خدمة الحاكم الفرد، أي الحاكم المستبد، حيث تتصدر أخباره وأفراد أسرته وحاشيته نشرات الأنباء، وحيث يتسابق العاملون في هذا الإعلام إلى تملق المسئولين والتودد لهم والتقرب منهم. وبذلك يفقد الإعلام أهم وظائفه، وهي الحياد والدقة في نقل الأخبار والمعلومات للقارئ والمستمع والمشاهد.

وحينما أرادت الدولة أن تخيّل على الناس بأنها تنشئ حياة سياسية مفتوحة من خلال السماح بتكوين الأحزاب وما تصدره هذه الأحزاب من جرائد ومجلات بحكم القانون، ثم ادعاؤها بأن القانون يسمح بإنشاء الصحف أو المجلات المستقلة، فإن ما حدث هو أن ظهور مثل هذه الصحف والمجلات إلى الشرعية والوجود والعمل، أصبح بيد الأمن، يوافق لمن رضي عنهم، ويرفض لمن غضب عليهم، وهكذا تم منح الرخص لأصحاب الصحافة الصفراء ومن يؤيد الدولة في سياساتها الاستبدادية، وتم منع كل القوى الحية والفاعلة من امتلاك هذه الصحف والمجلات المستقلة.

وأصبحت الصورة الموجودة هي جرائد ومجلات ومحطات تليفزيونية رسمية تملكها الدولة وتبث فيها خطابًا إعلاميًا يخدم استبداد النظام السياسي، ويقلب الأوضاع ويشوه الحقائق ويغطي على الفساد، ويتصدى للمعارضين، وخاصة الإسلاميين منهم، فيشوه صورتهم ويلصق بهم كل أنواع التهم والنقائص، ويحملهم أسباب فشل النظام في إدارة البلاد ومواجهة الأزمات.

وحينما أراد النظام أن يثبت للناس أنه مع حرية الإعلام، وافق على إنشاء صحف ومجلات وقنوات فضائية لمن يرضى عنهم، فكانت النتيجة أنها أصبحت امتدادًا

وتكرارًا لوسائل الإعلام التي تملكها الدولة، وباتت القوة الحقيقية في المجتمع، وهم الإسلاميون، محرومة من امتلاك هذه الوسائل من أجل التعبير عن نفسها والتواصل مع الجماهير، لأن التيار الليبرالي لديه حزب الوفد وصحف «الوفد» و«الغد» و«المصري اليوم» وغيرها، والشيوعيون لديهم «حزب التجمع» وصحيفة «الأهالي» والعديد من الإصدارات، والناصريون والقوميون لديهم «الحزب العربي الناصري» وصحف «العربي» و«الأسبوع» وغيرهما.

وبدهي فإنه لا يمكن إرساء ديمقراطية حقيقية بدون وسائل إعلام حرة، يستطيع المواطن من خلالها أن يتابع الشأن العام، ويسهم في صياغته، أو على الأقل يكون له رأي يستطيع إعلانه.

ولن تحل هذه المعضلة إلا بتحرير الإعلام من سيطرة الدولة، فيمكن أن يكون لها إعلامها الحكومي، ولكن تكون القاعدة هي الحرية في ملكية وسائل الإعلام للأفراد والأحزاب والجمعيات والشركات، فالعبرة في المجتمع الديمقراطي المفتوح هو «التعددية» و «الحرية» في التنظيم والتعبير عن الآراء والمصالح. ولا تحول هذه التعددية من وجود تقنين، يرعاه ويشرف عليه القضاء، وليس السلطة التنفيذية.

الدولة كناشر للفساد الأخلاقي:

من خلال امتلاك الدولة لوسائل الإعلام المختلفة (سينما – مسرح – صحف – مجلات – محطات إذاعة وتليفزيون) شجعت على إشاعة الانحلال الأخلاقي من خلال السماح بإصدار المجلات والصحف التي تخاطب وتؤجج الغرائز من خلال نشر الصور والقصص الإباحية، ومن خلال إذاعة المسلسلات والأفلام الخادشة للحياء والمليئة بالبذاءات، ومن خلال الكليبات الساقطة والإعلانات الخليعة... إلخ.

والأسوأ من ذلك أن الدولة استغلت الدور الفني والترفيهي لوسائل الإعلام في تزييف الوجدان والوعي التاريخي والعقائدي والفكري، فالسينما بعناصرها العديدة والمتنوعة، قادرة على صناعة تاريخ وهمي، وتجسيد أحداث مختلقة، مثلما هي قادرة على مواجهة الفساد وكشفه وتدعيم الهوية الحضارية للأمة، ونشر الفضيلة، ودعم الرسالة التربوية، وتدعيم قضايا الأمة الحقيقية في مواجهة أعدائها، لكن الدولة استغلت هذه الوسائل في الاتجاه السلبي.

إن السينما أخطر الأدوات الثقافية والتربوية تأثيرًا لأنها تمثل أفكارًا حية تعيش أمام المشاهد، ولذلك فإن تأثيرها لا يقتصر على الأفكار النظرية كما هو تأثير المؤلفات، وإنما ينطبع بصورة أشد على سلوكنا ومظاهرنا، كذلك فإن أفكار السينما ترسخ أكثر لأنها تظهر حقيقة معاشة وليس مجرد خاطر نقرأه.

وقد انحازت السينما المصرية، المملوكة للدولة، من خلال الرقابة على الأفلام وتوجيه صناعتها وتسويقها، إلى كل ما هو تافه وهزيل، حيث لا تخرج موضوعات هذه الأفلام عن شاب ساقط الأخلاق يغرر بالفتيات ويهرب، وهناك الفتاة الساذجة التي لا تقدر العواقب فتستسلم عند أول كلمة، وهناك مؤامرات خادعة حيث يتم في آخر القصة تقديم جزء أخلاقي بسيط، بعد أن قدم الفيلم خلال ساعتين كل صور الفساد والإباحية وعبارات الحوار المريض، وتعلم الشباب منه كيف تخدع الفتاة أمها لتخرج، أو تخفي التليفون لتتحدث، فضلاً عن هز البطن، ونكات الخدم وشرب الخمر، والرقص الإباحي وأخبار مهربي الحشيش والأغاني المليئة بالإغراء.

هناك أهمية كبيرة لأن يقوم في بلادنا العربية فن رفيع على مبادئ أخلاقية وأهداف وطنية، وهذه الأهمية تتزايد في ظل الظروف التي يمر بها العالم العربي من

تدخلات خارجية، وصلت إلى حد تعديل المناهج التعليمية، والمطالبة بتعديل مناهج المؤسسات الدينية العريقة مثل الأزهر، وهذا أمر بالغ الخطورة يفرض على من يعمل في مجال الفن أن يكون متيقظًا ومسلحًا بأدوات قادرة على مواجهة الهجمة الاستعمارية الأمريكية من جانب، والصهيونية المتمثلة في الكيان الصهيوني الذي ما زال عدوًا لأمتنا العربية، من جانب آخر.

ومواجهة الإسلاميين لهذا الفساد صعبة، فهم أولاً لم يتفقوا على دخول مجال الإنتاج الفني لإنتاج الأفلام والمسلسلات، وأرى ضرورة إثارة هذا الأمر والحديث بشأنه في وسائل الإعلام الإسلامية للإعداد لندوات موسعة يشارك فيها علماء الشريعة وأساتذة وخبراء الإعلام الثقات الذين تثق فيهم الحركة الإسلامية من أجل مناقشة هذه القضية من جميع جوانبها وتحديد المعوقات التي تحول دون دخول الإسلاميين هذا المجال المهم ، ووضع الحلول للتغلب عليها من أجل حسم الاشتراك في هذا الأمر، وتكوين شركات لهذا الغرض، ثم التغلب على مشكلات الرقابة من خلال التعاون مع بعض الجهات، لكي يرى النور إنتاج فني إسلامي راق.

الدولة كناشر للفساد الفكري والثقافي والديني:

استغلت الدولة أجهزة الإعلام المملوكة لها لكي تقرب منها الجماعات الفكرية والثقافية العلمانية واليسارية وتطلق يدها في أجهزة إعلام الدولة فتسيطر عليها وتنشر فيها الضلال الفكري والثقافي من إلحاد وعلمانية وترويج للأباطيل ومحاربة للدين ونشر للتغريب والتبعية ومحاربة الإسلام والإسلاميين تحت دعاوى الحرية والإبداع، في الوقت الذي تم حرمان الإسلاميين من الوصول لهذه الوسائل.

ومواجهة الإسلاميين لهذا الأمر مستقبلاً تكون من خلال: المحاولات المستمرة

للحصول على تراخيص جديدة لصحف ومجلات، أو تراخيص إصدارات موجودة بالفعل، ثم إنشاء قناة فضائية إسلامية إخبارية على نمط القنوات الفضائية الإخبارية ذات الكفاءة المهنية والتأثير القوي في المشاهدين، لكي يكون للإسلاميين المصريين كلمتهم المسموعة ومشاركتهم لقوية ورأيهم المعلن للتصدي لكل التيارات السياسية والفكرية الضالة والعميلة.

الدولة كراع للإعلان الهابط:

وفي وسائل الإعلام المملوكة للدولة المصرية كان هناك مدخل آخر للفساد والانحطاط وهو الفساد في سوق الإعلانات، حيث تباع المرأة وتعرض كسلعة رخيصة من أجل مساحيق الغسيل والروائح وحتى من أجل السيارات وكرات اللبان وأمواس الحلاقة، تطل عبر شاشات التليفزيون، تتراقص كدمية، وتعرض نفسها من أجل البيع والشراء، فأين هي كرامة وحقوق المرأة في سوق النخاسة العلماني واللاديني وفي عالم الإعلانات؟.

الدراسات العلمية تؤكد أن ٩٠٪ من الإعلانات في وسائل الإعلام المصرية تستخدم فيها المرأة وتستغل كأنثى من أجل الترويج لسلع استهلاكية، وسلع لا تكون لها أية علاقة بالمرأة، وتقوم فيها بحركات وأفعال تحط من قيمتها كإنسان، إلى جانب أنها تؤثر سلبيًا على المشاهد سواء أكان رجلاً أو امرأة أو طفل، وذلك من ناحية التقليد وزيادة الاستهلاك إلى جانب إثارة الغرائز.

إن الإعلان له وظيفة تربوية بجانب الوظيفة الترويجية، وعلى القائمين على تخطيط وتنفيذ الإعلان أن يراعوا هذه الوظائف، وأن يكونوا حريصين على الأجيال الناشئة وعلى التوازن الاجتماعي، ولكن للأسف الإعلانات بشكلها الحالي بعيدة عن القيم الدينية والأعراف الاجتماعية لبلادنا الإسلامية.

هناك وسائل عديدة للإعلان بعيدة عن المرأة ومن الممكن أن تكون مثيرة وجذابة، وهي استخدام الرسوم المتحركة أو المناظر الطبيعية، وهذه قد تحقق الغرض وتصل إلى الهدف المطلوب أكثر من استخدام المرأة كسلعة في سوق الإعلانات.

وتأثير الإسلاميين في هذا الملف يكون من خلال أن يكون لهم منتجون للدعاية والإعلانات في فضائياتهم، يقدمون الجانب الأخلاقي في الإعلان، ولو حدث هذا فسوف يقلدهم غيرهم لأن الشارع المصري عمومًا يكره الإسفاف والابتذال.

إعلام الدولة لتشويه الدين والمتدينين:

استغل العلمانيون سيطرتهم على أجهزة الإعلام ومؤسسات الثقافة، ومنها السينما والمسرح، ليخوضوا حربًا غير نظيفة ضد الإسلاميين، يشوهون فيها صورتهم، ويقيمون حائلاً بينهم وبين الجماهير، حتى لا تنتشر الفكرة الإسلامية وتؤتي ثمارها.

فشخصية المتدين يتم تشويهها وظلمها حينما يتم تناولها في الأعمال الفنية سواء في الأفلام السينمائية أو المسلسلات التليفزيونية، وهذا الظلم والتشويه يؤثر تأثيرًا سلبيًا على الدعوة والدعاة. والسينما المصرية التي هي أساس السينما العربية يظهر فيها المتدين في أحد دورين، فإما أن يكون مأذونًا شرعيًا، أو مدرسًا للغة العربية، وهو في الحالتين يتكلم العربية الفصحى ومظهره رقيع، يغازل النساء أو يشجع بطل الفيلم على مغازلة النساء، وهو إنسان يضحك كثيرًا بدون سبب، وغير ملتزم بالآداب الإسلامية، وهمه الرئيسي كثرة الأكل. والشخصية الفنية بهذه الصورة جعلت المتدين إنسانًا سلبيًا سلبية مطلقة وجعلته مسخة وأضحوكة وعامل منفر لا يدعو إلى الثقة.

وبالتأكيد فإن عدم الثقة هذا سيمتد إلى مرجعية هذه الشخصية .. وهذه المرجعية

طبعًا هي الإسلام. فصار الهجوم على الإسلام بالغمز واللمز وتشويه أهله والداعين إليه. والملاحظ هنا أن السينما لم تقدح مباشرة في المشايخ وعلماء الدين الإسلامي وإنما قدحت بطريق غير مباشر في الرمزين اللذين جسدا الدور الإسلامي وهما المأذون الشرعي ومدرس اللغة العربية.

ولم تكن السينما أمينة وهي تتعامل مع رجل الدين المسيحي، فهو على طول الخط إيجابي لم يتم القدح فيه أبدًا، أما المشايخ فهم الذين يتم تشويه صورتهم وغمزهم ولمزهم.

ووجد أهل الفن في السنوات الأخيرة ضالتهم في شخصية «المتطرف»، وهو إما طالب جامعة أو موظف يلبس الزي الإسلامي ويطلق لحيته ويتم تصويره على أنه عدواني ومشاكس، يهجم أفراد أسرته وجيرانه ويطلق شعارات دينية، وتنطوي سلوكياته على النفاق، وهو لا يتفاهم مع غير، وملامحه منفرة. والغير مقبول فنيًا هو أن شخصية المتطرف تقحم إقحامًا في كثير من الأعمال بشكل متعنت حتى وصلت إلى الأقلام التليفزيونية المعروفة بالاعتدال.

كما وقعت السينما العربية في الظلم والإجحاف مرة أخرى وهي تصور شخصية الشيوعي، فهو إنسان إيجابي مهذب مثقف متعلم تعليمًا عاليًا، فهو إما صحفي أو فنان أو أستاذ جامعة، يضحي في سبيل غيره، ومن طبقة عالية وأسرة محترمة وكثير القراءة والإطلاع، وهادئ وعقلاني، في مقابلة المتدين، الانفعالي، الأناني، الانتهازي، العدواني، كثير الإيذاء للناس، غير المثقف، المنغلق، الجاهل، الذي لا يقرأ.

الحل الإسلامي لهذه المعضلة يكون من خلال ما ذكرناه من التفكير في دخول الإسلاميين مجالات الإنتاج الفني لتطبيق الرؤية والفلسفة الإسلامية في هذا الجانب وتقديم الفن المحترم.

الفضائيات وزلزلة الإعلام المصري التقليدي، دور إيجابي وآخر سلبي:

كان لبروز الفضائيات العربية الجادة دور شديد الإيجابية والفعالية في تحرير المشاهد المصري من ربقة التليفزيون والإذاعة والصحف والمجلات الحكومية، فلم يكن بوسع المواطن المصري إلا مشاهدة ما يملى عليه من وجهة النظر الرسمية، التي يقدمها إعلاميون فاقدون للموهبة والمهارة، ويركزون على قضايا تافهة. وبمجيء عصر الفضائيات، انطلق المشاهد المصري إلى آفاق جديدة، حيث الجرأة في الطرح واختيار الموضوعات، وحيث المناقشات الساخنة الصريحة، وحيث قادة المعارضة هم النجوم، وحيث التحليل المتعمق للقضايا المختلفة. ومع تعدد القنوات الفضائية العربية أصبحت الخيارات مفتوحة أمام المشاهد ينتقي منها ما يشاء.

وإذا كانت الفضائيات قد استطاعت زلزلة صورة الأنظمة السياسية العربية، وخاصة النظام السياسي المصري، فإنه كان لها دور سلبي في عدم القدرة على تغيير حياة الناس أو سلوكهم وعاداتهم، فرغم دورها الجاد إلا أنها تتحمل قدرًا من المسؤولية عن حالة الاسترخاء والتبلد التي أصابت الجسد السياسي المصري والعربي، فقد عملت على تأجيج المشاعر وتحفيز نوازع الرفض السياسي ومشاعر عدم الرضا بين جمهور المتفرجين والمشاهدين، ولكن ذلك أدى في نفس الوقت إلى نتيجة سلبية خطيرة وهي أن هذا الأسلوب أدى إلى حالة من «التدجين» السياسي من خلال تحويل مشاعر الرفض إلى مجرد مشهد متكرر تدور تفاصيله بين المشاهد والتلفاز دون أن تخرج مثل هذه التعبيرات عن حدود مكان التلفاز.

ميثاق شرف للإعلام الذي نرجوه:

أبرز عيوب إعلامنا المصري وأهمها، عدم وجود ميثاق شرف مهني وأخلاقي يضبط حركة هذا الإعلام، ويلتزم به الجميع، وينسجم مع الأسس المهنية العالمية،

ويلتزم في نفس الوقت بآداب وأخلاقيات الإسلام وبالمصالح السياسية والقومية العليا للبلاد.

ميثاق الشرف الإعلامي المنتظر يجب أن يعطي الإعلامي حريته، لكنه يجب أن يؤكد على أن الحرية لا تعني سقوط كل الحواجز، وشطب كل الخطوط الحمراء، لا مانع من السعي لإسقاط الحواجز التي وضعتها السلطة المستبدة وتعدي الخطوط الحمراء أيًا كانت، ولكن ليس المقصود بالحواجز مجموعة القيم المجتمعية والعقائدية التي تضع حدًا فاصلاً بين الحلال والحرام، وبين الحق والباطل، وبين الفضيلة والرذيلة، وبين تكريم الإنسان وإهانته.

ونظرًا لعدم وجود هذا الميثاق، أصبح هذا الإعلام اليوم في معظمه مخترقًا ومسيطرًا عليه من الإعلام الأمريكي والغربي والصهيوني، الذي تهيمن عليه المؤسسات المعادية للعروبة والإسلام. ويبدو هذا واضحًا من المصطلحات والتعبيرات المعادية التي تسربت إلى الإعلام المصري من الإعلام العالمي والمعادي، وأصبح الإعلام المصري يرددها عن قصد أو غير قصد أو جهل مثل «الأصولية الإسلامية» و«الإرهاب» ... الخ. فقد ظهر نفر من الكتاب ومقدمي البرامج الذين باعوا أنفسهم لخدمة الأعداء، وسخروا أقلامهم المأجورة لخدمة أعداء الأمة، ويقومون اليوم بنشر ثقافة الاستسلام ويطلق عليهم «مثقفو المارينز». فمن كان يتصور أن يجرؤ نفر من العرب على هجاء المقاومة الوطنية، وأن تعلو بعض الأصوات متهمة إياها بأنها «إرهاب» ومدعية أن المقاومين ليسوا سوى «إرهابيين»؟ ومن يصدق أن يقول قائل في مصر: إن أهم بلدين في علاقاتها الخارجية هما الولايات المتحدة وإسرائيل؟ أو يقول إننا يجب ألا نسمح أبدًا للعلاقات العربية أن تؤثر في العلاقات مع إسرائيل؟ في دعوة وقحة لرفع شعار

إسرائيل أولاً. وعليه، فإن ميثاق الشرف الإعلامي الذي نتطلع إليه لابد أن يفرض الالتزام بالثوابت القومية، وبالانحياز للمقاومة ضد الاحتلال الصهيوني لبلادنا، وكذلك ضد أي احتلال غربي وضد أية محاولة لإرهاب وتهديد الدول العربية والإسلامية من جانب الدول الغربية، ولابد من الوقوف ضد محاولات اختراق البلاد العربية والإسلامية ثقافيًا وفكريًا وإعلاميًا وفنيًا واقتصاديًا وسياسيًا، ولابد من تأييد أية دولة عربية أو إسلامية في صراعها العسكري أو السياسي أو الإعلامي مع غيرها من الدول الغربية وغير الغربية أيضًا. وبالتالي فإن ميثاق الشرف المنتظر عليه التصدي للبرامج والمقالات التي تبدو في ظاهرها مفيدة، ولكنها في الحقيقة تستخدم لنقل الهواجس والشكوك والانتقادات والمطالب الأمريكية والغربية والصهيونية التي تثير الشبهات في وجه التيارات الفكرية الإسلامية والقومية التي تعارض الهيمنة الأمريكية، وأحيانًا تتضمن استجوابًا لمفكرين وقادة ودعاة ليستفيد بذلك الموساد والمخابرات الأمريكية، وتركز هذه المقالات والبرامج بشكل واضح على الرؤية الأمريكية للعالم بقضاياه ومشكلاته.

ميثاق الشرف المرتقب يجب أن يلزم كل وسيلة إعلامية بإعلان الشفافية الكاملة فيما يخص مصادر التمويل، لأن هناك وسائل إعلام مسيطر عليها بالكامل لحساب حكومات وجهات سياسية ورجال أعمال، وعادة ما يكون خطها السياسي مشبوه وغير وطني.

وعلى هذا الميثاق أيضًا أن يتصدى للظواهر السلبية في الوسط الإعلامي والتي يعلمها الجميع ولا يحركون لها ساكنًا، مثل ظاهرة الابتزاز الإعلامي، فالوسيلة الإعلامية تبتز رجل أعمال أو ثريًا من الأثرياء أو شركة أو جهة، بأن تبدأ حملة هجوم عليها، ثم تبادر بالاتصال بها للتوقف عن الهجوم مقابل مبالغ مالية معينة أو بحصول

منها على إعلانات، وهذه ممارسات غاية في السلبية وتفسد العمل الإعلامي بالكامل.

وهناك ظاهرة أخرى وهي أن رجال أعمال يجندون شبكة من الصحفيين ومقدمي البرامج من أجل الترويج لمشروعاتهم والدفاع عنها ضد أي هجوم أو انتقاد، وهؤلاء يتقاضون رواتب شهرية، وهذه ظاهرة خطيرة تفقد العمل الإعلامي مصداقيته. بل إن رجال الأعمال والشركات والجهات يسعون سعيًا وراء كتاب الأعمدة ومقدمي البرامج لشراء ذممهم ويفضلون ذلك على إنفاق أموالهم في حملات إعلانية غير مضمونة النتائج. هذه الظواهر السلبية تحدث عنها الأستاذ فهمي هويدي في مقالين متتابعين بجريدة الوفد في ٣١ مارس و٧ أبريل عام ٢٠٠١م، بعد أن رفضتهما الأهرام وكان عنوانهما (صحفيون للبيع)، أكد فيهما أن هناك تقارير رقابية مصرية، كشف بعد ذلك أن مصدرها شخصية قيادية في هيئة الرقابة الإدارية، بأسماء صحفي يتلقون أموالاً من جهات مصرية حكومية ورجال أعمال، وأن ١٢٠ صحفي في مؤسسة صحفية مصرية كبرى (كل الأوصاف التي ذكرها تشير إلى الأهرام) الحد الأدنى لرصيد كل منهم في البنوك ٥ مليون جنيه، وللأسف لم تستطع نقابة الصحفيين أن تفعل شيئًا، بل إن إبراهيم نافع أكد بعد ذلك بشهور أثناء حملته الانتخابية لمنصب النقيب أن ٩٠٪ مما قاله هويدي صحيح.

ميثاق الشرف يجب أن يلزم القنوات التليفزيونية المصرية بوقف الأغاني المصورة، المسماة بـ (الفيديو كليب)، بكل ما فيها من ابتذال وانحلال وسطحية وتسفيه لعقل المتلقي، وكذلك وقف إذاعة الأفلام والمسلسلات الهابطة التي تحتوي على مشاهد لا مبرر لها إلا مخاطبة الغرائز، وكذلك وضع حدود وضوابط لنشر الإعلانات حتى لا تمر إعلانات الابتذال والخلاعة والاستهتار.

على ميثاق الشرف المنتظر أن يضع كلمات الفريق ضاحي خلفان تميم قائد عام

شرطة دبي رئيس مجلس إدارة جمعية توعية ورعاية الأحداث بدبي، موضع التنفيذ، حيث يتبنى قضية «مناهضة الإعلام السلبي» معتبرًا هذا الإعلام السلبي (وهو ما نقصده في هذه المعالجة بالإعلام الهابط) تهديدًا للأمن القومي، وهو بتهم الفضائيات الهابطة بإشاعة جرائم الشذوذ، وأنها جعلت من أجهزة التلفزة أجهزة الكترونية لممارسة الرذيلة، ويؤكد أن ما يحدث في الإعلام العربي مخيف، وما تبثه هذه الفضائيات فاسد، ويرسخ لثقافة الانحلال لدي أولادنا وبناتنا ويضع كل بنت في مشكلة حقيقية.

على ميثاق الشرف الإعلامي المنتظر تأكيد المفاهيم والمعاني الإسلامية من أجل نشرها بين الإعلاميين حتى تشيع في المجتمع كله، فالإسلام يعارض فلسفة الإعلام الغربي القائمة على أساس تتبع العورات والفضائح والتلصص والتنصت على خصوصيات الناس. وبالتالي فإن قيام فضائية مصرية بمتابعة لخبر نشرته صحيفة مصرية مستقلة عن طلاق وانفصال مرشح سابق لمنصب رئيس الجمهورية عن زوجته الناشطة السياسية والإعلامية المعروفة، وتأكيد الصحيفة أن الانفصال حدث منذ أربعة أيام في تكتم وسرية تامة، حيث تم الطلاق بينهما، وأن الزوجة انتقلت للإقامة في منزل والدتها بوسط القاهرة، نشرت الصحيفة هذا الخبر غير المؤكد في صفحتها الأولى من أجل أن تسبق غيرها، ثم تتابعت القنوات الفضائية في إذاعته، وكأنها لا تجد ما تعالجه من موضوعات وقضايا حقيقية، فتتصل بالزوج فينكر حدوث الطلاق، ويقول: «أنا لم أطلق، واسألوا ابني»، ويتحدث ابنه فينفي الطلاق، ويحاول الجميع الاتصال بالزوجة ولكنها لا تجيب لأنها أغلقت هاتفها؛ مما يقوي ظنون هؤلاء اللاهثين وراء الجديد ويجعلهم يؤكدون أن الطلاق حدث لا محالة. كان مشهدًا مؤسفًا أن نرى الزوج والأبناء وهم يصارعون في الدفاع عن

أسرتهم ونفي الطلاق، بينما القناة تصر. الإسلام يأمر بالصلح والمساعي الحسنة والتحكيم المخلص لإزالة الخلاف، ويعتبر التناول العلني لمشكلات بهذه الخصوصية خطأ لا يمكن قبوله؛ لأنه يوسع الخلاف ويزيد المشكلة تعقيدًا، ولو ترك الإعلام الزوج وزوجته لشأنهما فربما انتهى الخلاف وعاد الوفاق.

هل يمكن أن يكون الإعلام الإسلامي هابطًا أو فاسدًا؟

الإعلام الإسلامي ليس إعلامًا هبط من لسماء، وليس إعلامًا يقوم به ملائكة، وإنما هو إعلام هادف، يهدف إلى نشر الحق ونصرة الضعفاء والمظلومين، ونشر الإسلام والدفاع عنه ضد خصومه، وتوضيح الحقائق الملتبسة، هذه بعض وظائف الإعلام الإسلامي التي تتسع لتشمل العمل على تدفق المعلومات والأخبار من كل جانب، لتشكل إطارًا كاملاً من المعرفة الحقيقية الصادقة غير المزيفة، التي تنقل حتى أخبار الأعداء ثم تعلق عليها وتوضح أبعادها.

وبالتالي فإن الإعلام الإسلامي الذي نرجوه هو إعلام مهني هادف يلتزم بقواعد المهنية والاحتراف، وهو إعلام صادق يحترم القارئ.

والإعلام الإسلامي قد يكون هابطًا، ليس بمعنى الهبوط الأخلاقي الذي أشرنا إليه سابقًا، وإنما بمعنى عدم الإحاطة بالمعايير والمهنية، فالمفترض في الصحيفة أو المجلة الإسلامية أن تكون أجود من أية صحيفة أو مجلة حكومية أو مستقلة، من حيث الإحاطة والشمول والدقة والتخصص والصدق والمنهجية ... إلخ.

والفضائية الإسلامية ينبغي أن تنافس أكبر وأهم الفضائيات الموجودة، أو تقترب منها، بما فيها من تخصص واحترافية وسقف حرية مرتفع وهدف محدد وكوادر مهنية على أعلى مستوى، لا أن تكون مجرد مجالس علم للشيوخ، رغم أهمية مجالسهم هذه وما يقدمونه فيها، فما نصبو إليه أكبر من ذلك بكثير، ونحن نرفض أن

يكتب العلمانيون في صحافتهم ينتقدون الفضائيات الإسلامية، ليس من خلال الطرح الفكري، فهذا مرفوض، ولا يشغلنا ولا يستحق الرد، وإنما من خلال الأسس والمعايير المهنية والتخصص الإعلامي والكفاءة في تقديم الرسالة، وهذا نقد يستحق أن نلتفت إليه.

وصفة نجاح لأية وسيلة إعلامية:

يمكن تقديم هذه الوصفة من واقع متابعة قناة «الجزيرة»، تلك القناة التي وجهت أول ضربات للإعلام العربي الرسمي الفاسد ولغيره من الإعلام الهابط، وهي تمثل نموذجًا للإعلام الناجح والهادف والفعال للاستفادة والتعلم منه متى توفرت الإرادة وحسنت النية، وقد لاحظنا أن أسباب النجاح تتلخص في الآتي:

- سقف حرية عال، غير خائف ولا متردد.
- هدف مسبق محدد سلفًا تم تحفيظه للجميع.
- تمويل ممتاز وميزانية كبيرة وإنفاق من أجل التميز.
- نظام إداري متميز يتيح اختيار أكفأ العناصر الإعلامية من جميع أنحاء العالم العربي، ويوفر أوضاعًا إدارية ومهنية وصحية متميزة للعاملين.
- اعتماد التنوع في كل شيء، جغرافيًا وسياسيًا وفكريًا وعرقيًا ودينيًا ومذهبيًا. فكل الأطياف العربية ممثلة داخل القناة، وكل الاتجاهات من البلد العربي الواحد ممثلة. فليس للقناة مشكلة مع توجهات فكرية أو سياسية أو دينية مخالفة، فلبنان يعمل من أبنائه بالقناة دروز وماروني وسنة وشيعة، ومن العراق شيعة وسنة وأكراد من مختلف التيارات، ومن مصر إخوان مسلمون، وحزب وطني، ومسيحيون، ومعارضون للنظام ومؤيدون له، وينطبق هذا على كل الدول العربية.

- التحرر إلى حد كبير من قيود النظام السياسي، وهذا بلا شك بموافقة النظام السياسي القطري ورضاه، رغبة في الاستفادة السياسية من تميز القناة.

- الوقوف على مسافة واحدة، من كل القضايا، والحاكم هو المهنية. فإذا جاء خبر مثلاً عن مظاهرات في مصر، لابد أن تأتي القناة بممثل للمتظاهرين، ولا بد أن تأتي بممثل للحكومة أو من المحسوبين عليها والمؤيدين لها.

- جرأة في تناول المحظورات والقضايا الشائكة في العالم العربي، والكشف للمشاهدين أن هناك أحزابًا وجماعات سياسية معارضة، والسماح لهم بالحديث، وبفرصة للتعبير عن أنفسهم.

◆ ◆ ◆